الأبجدية العـــ

لمحـــــة ونظـــرة

بقلم : د. أحمد شوقي النجـار

ـــربيـــة

لمحـة تاريخيـة :

في البدء ... وقبل أن نطلق القول عن اللغة العربية ، علينا أن نفرق بين لغتين مختلفتين تماماً هما : اللغة العربية الجنوبية ، واللغة العربية الشمالية . فاللغة العربية الجنوبية عاشت وازدهرت في بلاد اليمن . وقد اشتهر من لهجاتها ، المعينية ، والسبئية ، والحميرية . وقد يطلق عليها أحياناً إسم اللغات اليمنية أو القحطانية . نسبة إلى قحطان ، الجد الأعلى لليمنيين . وقد بادت هذه اللغة ، وحسبي أن أعرض عليك شيئاً من كلماتها لترى مسافة الخلف الكبير بينها وبين لغتنا العربية الشمالية ، أي لغتنا الفصحى ، لغة القرآن الكريم ، نحو 𐩣𐩱𐩲𐩥 وتعنى أتباع[1] . وكذلك 𐩠𐩣𐩵𐩲 = قناة[2] .

ولسنا بحاجة لأحدثك عن خصائص هذه اللغة العربية الجنوبية وكتابتها[3] . وإنما الذي يعنينا هنا هو الكتابة العربية الشمالية وأصلها . وما فيها من نظريات مختلفة . وإني ذاكر لك أهم ما قيل عن أصل الأبجدية العربية ونشأتها .

نظريـة التوقيـف :

تكاد تجمع المصادر العربية على أن الخط الذي كتب به العرب ، إنما هو توقيف من عند الله . علمه آدم عليه السلام . فعن كعب الأحبار أنه قال : «أول من كتب الكتاب العبري والسرياني وسائر الكتب آدم صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثمائة سنة . كتبها في طين ثم طبخه . فلما أغرق الله جل وعز الأرض أيام نوح ، بقي ذلك ، فأصاب كل منهم كتابهم . وبقي الكتاب العربي إلى أن خص الله به إسماعيل ، فأصابها وتعلمها»[4] .

كما قيل : إن أول من وضع الخطوط هو أخنوخ، أي إدريس عليه السلام . وقد نقل القلقشندي عن كتاب التنبيه على نقط المصاحف وشكلها ، لأبو عمرو الداني ، أن الأبجدية العربية أنزلت على هود عليه السلام[٥] . ويحاول القلقشندي التوفيق بين هذه الآراء ، فيقول : ولا تباين بين هذه الآراء ؛ لجواز أن تنزل على آدم مرة ، وعلى هود مرة أخرى . فربما نزلت الآية على نبي ، ثم نزلت على نبي آخر ، كما أنزلت « **بسم الله الرحمن الرحيم** » على سليمان عليه السلام ، ثم أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم . وربما أنزلت الآية الواحدة على النبي صلى الله عليه وسلم مرتين ، كالفاتحة ، فإنها نزلت بمكة مرة ، وبالمدينة المنورة مرة أخرى على أحد الأقوال[٦] .

وجملة تلك المقالة أن الكتابة توقيفية . وعندي أن هذا قول مرجوح ، لا سند له من الدين أو التاريخ أو العلم . وكان ابن خلدون ممن ينكر هذه النظرية ، فقد ذكر في مقدمته « أن الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية . فهو على ذلك ضرورة إجتماعية اصطنعها الإنسان »[٧] .

والحق أن فساد دعوى أن الكتابة توقيفية واضح للعيان . فإن كان اعتماد القائلين بها اعتماداً على قوله تعالى « وعلم آدم الأسماء كلها »[٨] . فهذا إدراك سقيم إذ المقصود من الأسماء في هذه الآية ، أسماء الموجودات التي خلقها الله في هذا الكون الذي يعايشه آدم صباح مساء . ولا تعني الآية الكريمة أن الله علم آدم الكتابة البتة . أما إن كان سند القائلين بأن الخط العربي توقيف أنزل من عند الله اعتماداً على الحديث المروي **عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، الذي يقول فيه : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، كل نبي مرسل ، بم يرسل ؟ قال : بكتاب منزل ، قلت يا رسول الله ، أي كتاب أنزل على آدم ؟ قال : أ ب ت ث ج ح ... إلخ . قلت : يا رسول الله ، كم حرف ؟ قال : تسعة وعشرون . قلت : يا رسول الله ، عددت ثمانية وعشرين ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمرت**

عيناه . ثم قال : يا أبا ذر ، والذي بعثني بالحق نبياً ، ما أنزل الله تعالى على آدم إلا تسعة وعشرين حرفاً . قلت : يا رسول الله ، فيها ألف ولام . فقال عليه السلام : لام ألف حرف واحد ، أنزله على آدم في صحيفة واحدة ، ومعه سبعون ألف ملك ، من خالف لام ألف ، فقد كفر بما أنزل على آدم . ومن لم يعد لام ألف فهو بريء مني ، وأنا بريء منه . ومن لا يؤمن بالحروف وهي تسعة وعشرون حرفاً ، لا يخرج من النار أبداً[٩] .

فأنت أمام هذا الحديث ، لا تملك إلا أن تؤمن بأن كتابتنا هذه **أ ب ت ث ج ح** أنزلت على آدم ، وعدد حروفها تسعة وعشرون حرفاً ، وإلا برئت من هذا الدين . وكنت من الخالدين في النار كما ورد بهذا الحديث ! بيد أني أجترئ فأبادر بتكذيب هذا الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم. إذ وضعه الواضعون لغاية خبيثة تستهدف الإساءة إلى الرسالة والرسول معاً . وحسبك أن هذا الحديث يصور لك الرسول صلى الله عليه وسلم ، بصورة غير كريمة . حتى أنه أصابه الغضب حتى احمرت عيناه لمجرد موقف يسير ، عندما بادر أبو ذر بقوله للرسول : يا رسول الله ، عددت ثمانية وعشرين حرفاً . ولسنا نعلم من شمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم ، إلا الحلم والخلق الكريم ، وأنه ما كان يغضب إلا إذا انتهكت حرمة من حرمات الله .

وحسبي أن أدلك على دليل آخر يكشف لك زيف هذا الحديث . فقد ورد به أن ترتيب الحروف هو : أ ب ت ث ج ح ... بيد أن هذا الترتيب المذكور لم يكن معروفاً في عهده صلى الله عليه وسلم . وإنما وضع هذا الترتيب نصر بن عاصم ويحيي ابن يعمر العدواني ، في عهد عبد الملك بن مروان [١٠] . وقد كان الترتيب المعروف في عهده صلى الله عليه وسلم هو : **أبجد هوز** ، كما هو ثابت بجميع اللغات السامية شقيقات العربية .

وقد قصد في هذا الترتيب المتأخر ضم كل حرف إلى ما يشبهه في الشكل . فابتدا بالألف والباء ؛ لأنهما أول الحروف في ترتيب أبجد هوز . وعقبا بالتاء والثاء لمشابهتهما الباء. ثم ذكرا الجيم من حروف أبجد ، وعقباً بالحاء والخاء للمشابهة. ثم ذكرا الدال ، وعقباً بالذال . ولكون الهاء تشبه أحرف العلة في الخفاء ، أخراها معها لآخر الحروف . وقبل أن يذكرا الزاي ذكرا الراء المشابهة لها ، لتكون الزاي مع باقي أحرف الصفير. ولذلك ذكرا السين بعد الزاي ، وعقباً بالشين للمشابهة . ثم ذكرا الصاد وعقباً بالضاد. ثم رجعا للظاء من أبجد وعقباً بالظاء ، وأخرا أحرف كلمن حتى يفرغا من الأحرف المشابهة . وذكرا العين ، وعقبا بالغين . ثم ذكرا الفاء وعقبا بالقاف . ثم ذكرا أحرف كلمن[١١] والهاء فأحرف العلة الثلاث[١٢] .

ولكي يزداد يقينك إلى ما أسوقه إليك من تزييف لهذا الحديث الموضوع ، وأنه مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أقرر لك أني لم أقف على هذا الحديث في كتب الحديث الستة ، بالإضافة إلى مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل[١٣] . لهذا اجترأت على تزييفه حتى لا يكون للناس حجة في تكذيبه . وماذا بعد الشك إلا اليقين . وبهذا تنهار الدعوى القائلة بأن الأبجدية العربية توقيف علمه الله آدم عليه السلام .

نظريــة الوضــع :

في مقابل النظرية السابقة ، هناك نظرية أخرى ، رددها كثير من مؤرخي العرب ، وعلى رأسهم البلاذري . فقد ذكر أن ثلاثة من طيء اجتمعوا في بقعة ، وهم : **مرامر بن مرة** ، **وأسلم بن سدرة** ، **وعامر بن جدرة** . وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية . فتعلم منهم قوم من أهل الأنبار. ثم تعلم عن هؤلاء نفر من أهل الحيرة[١٤] . فأما مرامر فوضع الصور . وأما أسلم ففصل ووصل . وأما عامر فوضع

الإعجام ، تم إنتقل هذا العلم إلى المدينة المنورة فمكة ، وتعلمه من تعلمه . وكثر في الناس وتداولوه[١٥] . وقد دخلت الكتابة المدينة قبل مكة بسبب وجود يهودي كان يعلم الصبيان الكتابة[١٦] .

كما نقل القلقشندي قول الجوهري «إن أول من اخترعه وألف حروفه ستة أشخاص من طسم ، كانوا نزلاء عند عدنان بن أدد . وكانت أسماؤهم : أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت . فوضعوا الكتابة والخط على أسمائهم . فلما وجدوا في الألفاظ حروفاً ليست في أسمائهم ألحقوها بها ، وسموها الروادف . وهي تُخذ ضظغ[١٧] . قيل : وهؤلاء ملوك مدين ، وكان هلكهم يوم الظلة ، بنار نزلت من السماء بدعوة من شعيب النبي عليه السلام[١٨] .

وقال المدائني : حدثني حسان بن عبد الملك الأنصاري قال : حدثني سليمان بن سعيد المري قال : سمعت الفراء يقول : حدثني العمري أنه قيل لابن عباس : من أين تعلمتم الهجاء والكتابة والشكل ؟ قال : علمناه من حرب بن أمية . قيل : ومن أين علمه حرب بن أمية ؟ قال : من طارئ طرأ علينا من اليمن . قيل : ومن أين علمه ذلك الطارئ ؟ قال : من كاتب الوحي لهود عليه السلام[١٩] .

وقد ذكر حفني ناصف أن حرب بن أمية هذا كان قد تعلمها في أسفاره من عدة أشخاص منهم بشر بن عبد الملك أخو أكيدر صاحب دومة الجندل . وقد حضر بشر إلى مكة مع حرب وتزوج الصهباء إبنته ، وعلم جماعة من أهل مكة ثم ارتحل . وبواسطة بشر بن عبد الملك ، وحرب بن أمية تعلم عدد كثير من أهل مكة منهم عمر ابن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطلحة وغيرهم[٢٠] .

هذا ... وما أود أن أعرض عليك كثيراً مما قيل في أصل الخط العربي ، ففيه آراء مختلفة متنافرة متناحرة . وتستهدف قضية هذه المقالات أن الكتابة إصطلاحية ،

بمعنى أنها من وضع الإنسان . وإن اختلف في أي زمان ، وأي مكان كان هذا الإنسان الذي وضع الخط العربي باعتباره من جملة الصنائع المدنية التي تلزم الناس في معاشهم . فغير خفي أنه من الصناعات المدنية التي تقوى بقوة الحضارة ، وتضعف بضعفها ، بل وينعدم بإنعدامها . وهذا ما يصرح به ابن خلدون وغيره [٢١] .

وأنت مع هذا كله أمام نظريتين مختلفتين عن أصل الأبجدية العربية هما : **نظرية التوقيف ، ثم نظرية الوضع** ، وإن اختلفت فيهما الروايات سنداً ومتناً . فأما النظرية الأولى ، وهي مسألة أن الخط العربي توقيف علمه الله آدم أو غيره ، فهذا ما لا تميل النفس إليه . وقد سبق أن أبديت الرأي في هذه المسألة بما تهيأ لي من أسانيد . فلم يبق بعد ذلك إلا أن الأبجدية العربية من وضع الإنسان ، لحاجته إلى ذلك . فهذا هو القول الحق في أمرها . أما من هو ذلك الواضع له ، فالذي يتفق عليه العلماء هو أن الكتابة قد مرت بأطوار متعددة هي : الطور الصوري ، ثم الطور الرمزي ، ثم الطور المقطعي ، ثم الطور الصوتي ، ثم الطور الهجائي [٢٢] .

أما أول حلقة في سلسلة الخط العربي ، فهو الخط المصري القديم . وثاني حلقة هو الخط الفينيقي ، نسبة إلى فينيقيا . وهي أرض كنعان أي منطقة فلسطين وما جاورها . والفينيقيون كانوا أكثر الناس إشتغالاً بالتجارة ومخالطة المصريين ؛ لذا تعلموا من المصريين كتابتهم . ثم وضعوا لأنفسهم حروفاً خالية من التعقيد ، عددها ٢٢ حرفاً [٢٣] وهي أول أبجدية عرفها البشر قبل ١٥٠٠ سنة من ميلاد المسيح [٢٤] . تقول فرانسيس روجرز « والحق أن حروف الهجاء الفينيقية ليست هي الأصل الذي انحدرت منه الأبجديات اللاتينية فحسب [٢٥] بل إنها كذلك أصل الأبجديات العربية واليونانية والعبرية والروسية [٢٦] . وقد أخذ الفينيقيون من حروف المصريين خمسة عشر حرفاً مع تعديل قليل ، حتى كونوا كتابة سهلة ، اشتهرت بواسطتهم في آسيا وأوربا .

ومن هذه الأبجدية الفينيقية اشتق الخط الآرامي في الشمال ، والمسند في اليمن . أما الآرامي فقد تولدت منه ستة خطوط هي : الهندي بأنواعه ، وثانيها الفارسي القديم ، وثالثها العبري المربع ، ورابعها التدمري ، وخامسها السرياني ، وسادسها النبطي . وهذا الأخير هو أصل الأبجدية العربية[٢٧] .

وأقنع بهذه اللمحة عن تاريخ الأبجدية العربية . ولولا خشية الإطالة المعقود على تحاميها ، وتجنب الإكثار بها ، لأوسعت ساحة القول في هذه المسألة . ومع كل فما ندمنا على ما ند منا. وقد يتهيأ لنا وقت آخر لبيان زيف صورة الخطاب الذي أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط بالاسكندرية . والذي عثر عليه «بارشيلمية» الفرنسي في كنيسة إخميم بمصر سنة ١٨٥٠م .

ا ب ت ث

ج ح

نماذج من خطوط اللغات السامية وأبجدياتها :

الأوجاريتية	الحبشية	العربية الجنوبية	العربية	السريانية	العبرية	اللاتينية
𐎀	አ	𐩠	ا	ܐ	א	a
𐎁	በ	𐩡	ب	ܒ	ב	b
𐎂	ገ	𐩢	ج	ܓ	ג	g
𐎃	ደ	𐩣	د	ܕ	ד	d
𐎄	ሀ	𐩤	ه	ܗ	ה	h
𐎅	ወ	𐩥	و	ܘ	ו	w
𐎆	ዘ	𐩦	ز	ܙ	ז	z
𐎇	ሐ	𐩧	ح	ܚ	ח	ḥ
𐎈	ጠ	𐩨	ط	ܛ	ט	ṭ
𐎉	ዪ	𐩩	ي	ܝ	י	y
𐎊	ከ	𐩪	ك	ܟ	כ	k
𐎋	ለ	𐩫	ل	ܠ	ל	l
𐎌	መ	𐩬	م	ܡ	מ	m
𐎍	ነ	𐩭	ن	ܢ	נ	n
𐎎	ሠ	𐩮	س	ܣ	ס	s
𐎏	ዐ	𐩯	ع	ܥ	ע	ʿ
𐎐	ፀ	𐩰	ص	ܨ	צ	ṣ
𐎑	ፈ	𐩱	ف	ܦ	פ	p
𐎒	ቀ	𐩲	ق	ܩ	ק	q
𐎓	ረ	𐩳	ر	ܪ	ר	r
𐎔	ሰ	𐩴	ش	ܫ	ש	š
𐎕	ተ	𐩵	ت	ܬ	ת	t
𐎖	ጸ	𐩶	ث			ṯ
𐎗	ጀ	𐩷	خ			ḫ
𐎘	ገ	𐩸	ذ			ḏ
𐎙	ጠ	𐩹	ض			ḍ
𐎚	ጨ	𐩺	ظ			ẓ
𐎛	ፐ	𐩻	غ			ġ
𐎜	ጰ					
𐎝	ጸ					
𐎞	ፀ					
𐎟	ፘ					
𐎠	ፙ					

نظـــرة :

أدركت مما سبق أن الأبجدية العربية إبداع سامي الأصل ، وعن الساميين عرفت الدنيا ، كل الدنيا ، حروف الكتابة لأول مرة[٢٨] . ومنها أبجديتنا العربية . وطبيعي أن تكون لتلك الأبجديات خصائص ومميزات تختلف عن غيرها من الأبجديات . ومن الطبيعي أيضاً أن يكون لكل منها ميزاتها ونقائصها . فبالنسبة إلى الأبجدية العربية فقد نعق الناعقون في مجامع اللغة العربية ، بما يعرف بمشكلة الخط العربي ، حتى رصد مجمع اللغة العربية بالقاهرة جائزة قدرها ألف جنيه لأحسن إقتراح في تيسير الكتابة[٢٩] ، وتقدم لهذه المسابقة ما يربى على مائتي مشروع ، كلها تستهدف قضية تيسير الكتابة العربية ، بل عندما عقدت الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ، المؤتمر الأول للمجامع اللغوية في دمشق سنة ١٩٥٦ ، كان موضوع الكتابة العربية من أهم الموضوعات التي طرحت على بساط البحث ، وهكذا أخذت المجامع اللغوية في بغداد والقاهرة ودمشق تخصص الجوائز لمن يقدم أفضل إقتراح .

وكان من أشهر المقترحات تلكم الدعوة إلى إستخدام الخط اللاتيني بدلاً من الخط العربي . وقد حمل لواء هذه الدعوة عبد العزيز فهمي باشا ، وسلامة موسى في مصر . وكذلك سعيد عقل في لبنان . فقد استهوتهم جميعاً زخارف الحضارة الإفرنجية . وظنوا أنه يكفي للوصول إلى مثلها تغيير الأزياء أو تغيير الكتابات ، كما فعل جمال أتاتورك باللغة التركية ، حيث استبدل الكتابة اللاتينية بالحروف العربية سنة ١٩٢٨م بعد أن نوقش المشروع في مجلس الأمة . وبعد أن ووفق عليه ، أصدر المجلس في أول نوفمبر سنة ١٩٢٨ قانون تطبيق الأبجدية الجديدة . وقبل هذا بعام واحد كان الإتحاد السوفيتي قد أقدم على هذه الفعلة نفسها ، إذ هجر الأبجدية العربية العثمانية ، واتخذ الكتابة بالحروف اللاتينية لمدة خمس سنوات أي إلى سنة ١٩٣٤ ، ثم إتخذ بعد ذلك الحروف السيريليكية[٣٠] .

وحسب هؤلاء وهؤلاء أن استخدام الحروف اللاتينية من أسباب تقدم تلك الشعوب الإفرنجية ونهضتها علمياً وصناعياً ، كما هو مشاهد . وبهذا الاستدلال الخاطىء ، وتلك النظرة السطحية العجلى كانت حجتهم في هذه الدعوة . والحق أنهم وهموا جميعاً ، واختلط عليهم الأمر في هذه المسألة ، التي إن دلت على شيء ، فإنما تدل على السطحية وقصر النظر ، أو الغرض .

وأيسر ما يقال رداً على هؤلاء،أن الشعوب الأوربية هذه كانت تستخدم أبجديتهم هذه وكانوا يرسفون في دياجير الجهل والتخلف . في الوقت الذي كان العرب يستخدمون أبجديتهم هذه ، وقد نشروا بها حضارتهم العربية شرقاً وغرباً . **وما تلك العلوم التي أتقنها الغرب إلا بضاعتنا ردت إلينا ، كما قال الصاحب بن عباد يوماً . فأصول تلك العلوم مأخوذ من العرب ومن حضارة العرب في الأندلس . حيث إنتقلت تلك العلوم إلى أوربا في العصور الوسطى . ولا يزال الغرب يستخدم أرقامنا العربية.. 1,2,3,4,5,.... وإن نبذناها نحن وأخذنا الأرقام الهندية .**

وبهذا يتضح لك أنه لا علاقة بين الكتابة والحضارة والتقدم على الإطلاق ، كما وهموا وزعموا . فأمر التقدم والحضارة مرهونان بالعلم والعمل .

والحق أن الحروف اللاتينية لا تتميز عن الحروف العربية ، حتى تصدر تلك النداءات الطائشة المغرضة . وما أحسب القصد منها إلا أن ينفصل أجيالنا عن أسلافنا ،ويعزل حاضرنا عن ماضينا حتى تنقطع أواصر صلتنا بتراثنا وأمجادنا . وبالتالي تضعف وتهتز عرى إتصالنا بمنابع عقيدتنا وثقافتنا ، كما تجتث الشجرة وتبتر عن جذرها . ألها بعد ذلك بقاء ؟!!

وهل كان عبد العزيز فهمي باشا الذي تزعم الحملة على الأبجدية العربية ، أقول هل كان يجهل ما في الحروف اللاتينية من عيوب ؟ أجل ... كان عليه أن يعلم أن الأبجدية الإنجليزية — وهي تمثل تلك الأبجدية اللتينية — معيبة هي الأخرى

فحروفها لا تمثل أصوات اللغة أصدق تمثيل . وهي بهذا تفقد أولى مقومات النظام الرمزي الدقيق للغة . وهو ما يسمى بالإتساق المفقود في الرمز اللاتيني . فلكي يتحقق هذا الإتساق في الرمز الكتابي يلزم توفر شرطين في النظام الكتابي هما :

أن يرمز للصوت الواحد بحرف واحد . أضف إلى ذلك عدم استخدام الحرف الواحد لأكثر من صوت واحد . وبتطبيق هذين الشرطين على الأبجدية الإنجليزية نجد بها ما يصمها بعدم الدقة ، وينأى بها عن الكمال المنشود للغة من اللغات . فبالنسبة للحالة الأولى ، وهي وضع رمز واحد لصوت واحد نجد بالإنجليزية الرمز (C) يمثل صوتين مختلفين تماماً هما (س) و(ك) كما في كلمة Circle = دائرة . فالرمز الأول وهو (C) ينطق س ، وهو نفسه الرمز الرابع من الكلمة ولكنه ينطق ك . وهذا الازدواج الصوتي للحرف الواحد يشيع في اللغة الإنجليزية . فالمتأمل فيها يلاحظ أن الحرف (C) ينطق س إذا وليه i أو e أو y بينما ينطق ك في غير هذه المواقع . بل إنه أحياناً أخرى لا ينطق البتة كما في Science . وحرف (S) تراه مرة ينطق س ، ومرة ش ، وأخرى ز ، ورابعة ص ، وخامسة ج معطشة . بل أحياناً لا ينطق كلية ، كما ترى في الكلمات التالية على الترتيب :

Island, Television, Son. is, Sure, Sand

فهذه حالات ست لحرف واحد . ولتجدن أكثر الناس ضيقاً بهذا التعدد أولئك الذين يتعلمون تلك اللغة من غير أبنائها .

أما بالنسبة للشرط الثاني للكمال الرمزي للحرف معيارياً ، فهو عدم إزدواج رمز كتابي لصوت واحد . وأنت تجد أن الإنجليزية قد أخفقت أيضاً في تحقيق هذا . فأنت تجد بها أكثر من حرف للصوت الواحد . فمثلاً C ، و K لا يختلفان صوتاً كما ترى في king و Cold ، بل إن الحرف (K) قد لا ينطق أيضاً كما في Knife ونحو هذا كثير وكثير في الإنجليزية .

وليس الأمر وقفاً على الصوامت وحسب ، بل إن هذا الخلل قد نال الحركات الإنجليزية أيضاً . فما تشابه في النطق واختلف في الرسم الإملائي تلك الحركات e و i ، و e و a كما في الكلمات : Eye و Idea أو See و Sea . ومثل هذا تراه في اللاتينية نفسها ، وما تفرع منها . ولست تجد شيئاً كهذا الخلل في أبجديتنا العربية على الإطلاق **فالصوامت في الأبجدية العربية ٢٨ حرفاً يتألف منها أكثر من إثني عشر ألف ألف كلمة كما يتضح لك ذلك من الاطلاع على كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي . ولذلك اتسع مجال الوضع في اللغة العربية . أما إذا قطعت النظر عن حروف المد في الإنجليزية مثلاً ، فإنك تجد عدد الصوامت بها ١٩ حرفاً . ولذلك كان مجال الوضع فيها ضيقاً . وعدد ألفاظها أقل ، مما حدا بهم إلى إكثار الحركات في الكلمات ليمكن بمراعاتها تأليف كلمات كثيرة من هذه الحروف القليلة ؛ لتسد بذلك نقصاً طبيعياً نشأ من قلة حروفها . لذا ترى الكثير من كلماتها تساق بها هذه الحركات دون النطق بها نحو :** Neighbour = **جار** ، Courageous = **شجاع** ، Aeronaut = **المسافر جواً** ، **ونحو ذلك كثير باللغة اللاتينية وما تفرع منها من اللغات الأوربية** . ولو أن هؤلاء القوم تدبروا الأمر ، وتبينوا المقاييس الصحيحة ، لأدركوا أن الأبجدية العربية من أصلح الأبجديات قاطبة ، وأدقها تصويراً وتمثيلاً لأصوات اللغة . حتى أنها إستطاعت أن تغزو كثيراً من اللغات ، فقد إتخذتها الفارسية والأردية والأفغانية ، كما كتبت بها لهجات ملاوية والهوسا في غربي أفريقية[٣١] وغير ذلك من اللغات . وقد استطاعت هذه الحروف العربية أن تعبر عن هذه اللغات جميعها دون تعديل أو تغيير .

وقد أدت ولا تزال تؤدي مهمتها في تمثيل دقيق لأصوات تلك اللغات المتعددة المتباينة دون إعتراض أو تذمر أو نقص . بل دون زعم بصعوبة كتابتها . وما كانت النكسة التي حدثت في تركيا بسبب قصور الكتابة العربية ، أو صراع بين الكتابة

واللغة ، تعاني منه الحروف العربية ، وإنما كان مرد ذلك إلى عوامل واعتبارات سياسية وأهداف صليبية غلفتها تصورات وهمية . ومع هذا لم تنهض تركيا حضارياً ، ولم تلحق بركب الدول المتقدمة بعد أن استبدلت الحروف اللاتينية بالأبجدية العربية كما شاءوا . بل إن العكس هو الصحيح . إذ أن تركيا ذلك البلد الذي سقط في هذه الردة لم تتمكن منذ جمال أتاتورك ١٩٢٨ إلى الآن أن تصبح أو تلحق بأي من تلك الدول الأوربية المتقدمة كما كانت تظن . وبذا فقدت صلتها بالعالم العربي ، وأمست غريبة لا تنتسب إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . وهذا هو الضياع بعينه .

ويجدر هنا أن نذكر لك ما قاله المستشرق الفرنسي « **هنري لوسل** » تمجيداً للعربية لغة وكتابة ، فيقول : « إن التلميذ أو الطالب يجد في العربية معاني لغوية تختلف إختلافاً كبيراً عن معاني الفرنسية أو اللاتينية ، أو أي لغة أوربية . وعن طريقها يتعرف المتعلم إلى عقلية العرب . يجد نفسه أولاً أمام الأبجدية العربية ، وربما كان فيها بادىء الأمر موضع النقد ، ولكنه سرعان ما يجد لها جاذبية خاصة . ويستوقف نظره في الوقت نفسه سير الكتابة العربية من اليمين إلى الشمال ، ولكن هذا السير يبدو مطابقاً لحركة « فزيولوجية » على إتفاق أكثر مع الطبيعة »[٣٢] .

ولست بهذا أبتغي أن أسِم الأبجدية العربية بالكمال . وإنما شئت فقط أن أذكر شيئاً ضئيلاً عما في غيرها من سوءات تهون معها ما يوجد بها من صعوبة تواجه المتعلم في أول أمره . ولعل أهم تلك الصعوبات هو تعدد صور الحرف الواحد تبعاً لتغير موضعه في الكلمة ، كما نراه في حرف العين هكذا عـ أو ـعـ أو ـع أو ع . كما أن تعدد الأشكال الهندسية التي يتألف منها الخط العربي أكثر كماً من الأبجدية الإنجليزية . فالحروف الإنجليزية جلها تتألف من الحرف أي نصف الدائرة تقريباً . ثم يضاف إليه خط مستقيم ، فينشأ من هذين الشكلين أكثر الحروف الإنجليزية . وإليك بيان ذلك . فما يتألف من نصف الدائرة الحروف الآتية :

a b B C d D e g G F O P Q R S

أما الخط المستقيم فتراه في E F H I J K L M N T U V W X Y Z

فأنت تلاحظ أنها كلها هنا كلمة خطوط مستقيمة ، تغيرت أوضاعها ، فتغايرت دلالتها .

أما عندنا في العربية، فإنك واجد أشكالاً أكثر من تلك ، بينما يقل إستخدام الشكلين السابقين ، اللهم إلا في الألف والطاء والكاف واللام . أما الأشكال الهندسية التي تراها في أبجديتنا العربية فمنها المثلث كما في حـ ، ـه . والزاوية الحادة في د . والزاوية القائمة كما في بـ . والدائرة كما في ة و هـ . ونصف الدائرة كما في ع . والقوس كما في ر . والبيضاوي كما في ص و ط . وباختلاط هذه الأشكال الهندسية تتألف بقية الحروف الأخرى ؛ ولهذا يصعب على المتعلم أن يتقن الخط العربي في زمن وجيز . والحق أن تعدد تلك الأشكال الهندسية في الخط العربي تعد ميزة كبيرة ، إذ جعلت منه فناً من الفنون الجميلة ، بإعتراف الشرق والغرب .

ولست بهذا أتعصب للغتنا ، كما أنه ليس الغرض من تعديد هذه المزايا لحروف اللغة العربية الحط من شأن غيرها من اللغات ، معاذ الله ، وإنما غرضنا الرد على المفتونين ببعض اللغات الأجنبية ، الذين يجهلون اللغة العربية ويزعمون أن العربية أصعب مراساً ، وأبعد منالاً . وهم بهذا واهمون . إذ لو أعطوها من العناية بعض ما أعطوه لغيرها لعرفوا أنها في غاية الإحكام . وإني مطلعك على بعض ما دعا إليه بعضهم [٣٣] ، محاكاة للكتابة الإفرنجية .

فقد اقترح بعضهم تفريق الحروف ، وإدخال الشكل في صلب الكلمة ، أي بوضع ألف بعد الحرف للدلالة على الفتحة ، وواو للدلالة على الضمة ، وياء للدلالة على الكسرة . وتكرير الحرف المشدد . وبهذه الطريقة تكتب كلمة « مستعد »

على مذهبهم هكذا «موستاعيدد». وقالوا: إن هذا أسهل في الجمع والطبع. قلنا لهم: ماذا في نحو «**أفيدونا**»؟ **قالوا: نكتبها هكذا «أافيدوو ن١١»** فالياء الأولى لبيان الحركة، والثانية للمد. ومثله يقال بالنسبة للواوين والألفين في الكلمة. قلنا لهم لعلكم نسيتم أن تكرير الحرف علامة على تشديده. فما الفرق حينئذ بين الحرف المشدد وبين الحرف الممدود؟ قالوا: نعدل عن هذا، ونكتبها هكذا «أافيدونا» فنضع علامة المد فوق الحرف، كما يفعل الألمان. قلنا لهم: ما تصنعون في مثل «**يدا بيد**» قالوا: نكتبها هكذا: «**يادان بيي ادين**» قلنا: أخطأتم من جهتين:

الأولى: أن النون التي وضعتموها بدل التنوين تمنع من الوقف على الألف في الكلمة الأولى، ومن الوقف على الدال في الكلمة الثانية.

والثانية: أن تكرير الياء يوهم التشديد. قالوا: نجيب عن الأولى بأن تضع للتنوين حرف N بدل النون؛ ليكون عرضة للحذف عند الوقف. وعن **الثانية**: بأن نضع نقطتين فوق الياء الثانية، كما يصنع الإفرنج أيضاً، فتكون هكذا «**يادان بيي ادي N**» قلنا: فما تصنعون في نحو الرحمن الرحيم؟ قالوا نكتبها هكذا «أا رراح م آنو ا ا رراح يّمو» قلنا: أخطأتم هنا أيضاً من وجوه:

أولها: إن حرف التعريف غير ظاهر، **والثاني**: أن حركة الإعراب جعلت واواً فيتوهم أنها من بنية الكلمة، فلا تحذف في الوقف. والثالث: أن الهمزة صارت همزة قطع، فلا يفهم أنها تحذف عند الوقف. قالوا: نجيب عن هذه الإعتراضات بأن نكتبها هكذا «**االراح مآن ou االراح يّم ou**» فنضع علامة على الألف إشارة إلى أنها ألف وصل. ونكتب بعدها اللام على الأصل، وإن كانت واجبة الإدغام في الراء، ونضع لحركة الإعراب علامة أجنبية، إشارة إلى أنها

تحذف عند الوقف . قلنا : لقد فررتم من شيء ، فوقعتم في أشياء :

أولها : أنكم زدتم عدد الحروف إلى الضعف . **وثانيها** : أنكم وضعتم فوق الحروف هذه العلامات « ٨ و . . و و » . **وثالثها** : أنكم أدخلتم بدل النونين حرف N ، وهو حرف أجنبي . **ورابعها** : أنكم وضعتم فوق الحروف « A وأو ou » للدلالة على حركات الإعراب ، وهي حركات أجنبية يجب أن تتكرر بقدر تكرر الكلمات المعربة . وكلمات اللغة العربية كلها معربة إلا قليلاً . ومتى صرنا إلى هذا أضاع الاختصار ، وذهبت السهولة ، وأدى هذا التغيير إلى صعوبة في الجمع والطبع ، وتلفيق الوضع ؛ لأن وضع الحركات في بنية الكلمة هكذا سهل القراءة ، وصعب الكتابة . وأما العرب فقد سهلوا الكتابة والقراءة معاً . وليس معنى هذا أن نترك الكتابة غفلاً فنسهل الكتابة ونصعب القراءة ، ولكن المتفق عليه عند العرب أن يشكلوا ما يشكل ، كما قال ابن مجاهد «ينبغي ألا يشكل إلا ما يشكل» .

عندئذ قالوا : أنتم نصراء القديم ، وأعداء الحديث . قلنا : عجزتم عن الجواب ، ففزعتم إلى السباب . فوجب إقفال الباب .

ولا شك بعد هذا الذي عرضته عليك ، أنك علمت الآن من هذه المناظرة أن الكتابة العربية ، إذا أشكل من حروفها ما يشكل ، كانت غاية الغايات في الاختصار والبيان . وليس في الإمكان أبدع مما كان .

• المراجـع العربيـة •

١ ـــ أدب الكتاب ، لأبي بكر الصولي ـــ المطبعة السلفية بمصر ١٣٤١هـ .
٢ ـــ أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي ـــ رسالة ماجستير سهيلة الجبوري ١٩٧٧ .
٣ ـــ إنتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي ، لعبد الفتاح عبادة . مطبعة هندية بالموسكي ١٩١٥ .
٤ ـــ إتجاهات حديثة في تعليم العربية ، للدكتور علي القاسمي ـــ جامعة الرياض ١٩٧٩ .
٥ ـــ تاريخ اللغات السامية ، لإسرائيل ولفنسون ـــ لجنة التأليف والترجمة والنشر . ط أولى ١٩٢٩ .
٦ ـــ تاريخ الأدب لحفني ناصف . نشر الجامعة المصرية .
٧ ـــ الخط العربي الإسلامي ، تركي عطية الجبوري ، دار البيان ببغداد ، طبعة أولى ١٩٧٥ .
٨ ـــ دائرة المعارف التركية الجزء الخامس مادة حرف ص ٦١٥ .
٩ ـــ صبح الأعشر لأبي العباس القلقشندي . المؤسسة المصرية العامة للتأليف (تراثنا) .
١٠ ـــ العقد الفريد ، لابن عبد ربه . تحقيق محمد سعيد العريان . دار الفكر . بيروت .
١١ ـــ الفهرست لابن النديم . تحقيق رضا تجدد . طهران ١٩٧١ .
١٢ ـــ فتوح البلدان للبلاذري . نشر صلاح الدين المنجد . مكتبة النهضة المصرية .
١٣ ـــ قصة الكتابة العربية لإبراهيم جمعة . دار المعارف بمصر . الطبعة الثانية .
١٤ ـــ قصة الكتابة والطباعة من الصخرة المنقوشة إلى الصفحة المطبوعة ترجمة د. أحمد الصاوي. الأنجلو المصرية.
١٥ ـــ اللغة العربية بين القاعدة والمثال . أبو عبيد الرحمن بن عقيل الظاهري . مطبوعات نادي القصيم بريدة .
١٦ ـــ مقدمة ابن خلدون . الطبعة الرابعة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
١٧ ـــ الموسوعة العربية الميسرة ، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين ١٩٦٥ .
١٨ ـــ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي نشره الدكتور ونسنك . مكتبة بريل بليدن ١٩٣٦ .
١٩ ـــ مصور الخط العربي ناجي زين الدين ، دار القلم بيروت ١٩٨٠ .
٢٠ ـــ مشكلة تعليم اللغة العربية لغير العرب للدكتور علي الحديدي ، دار الكاتب العربي بالقاهرة .
٢١ ـــ الوزراء والكتاب للجهشياري ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، مطبعة مصطفى الباني الحلبي ط أولى .

• REFERENCES •

1. Beeston, A Discriptive Grammar of Epigraphic South Arabian, London, 1962.
2. Dillmann, Ethiopic Grammar, 2nd edition, enlarged and improved by Carl Bezold, 1899. Translated by James A. Chrichton, London, 1907.
3. Diringer, The Alphabet, A Key to the History of Mankind, 3rd Edition, 1968.
4. Driver, Semitic Writing from Pictography to Alphabet, Oxford University Press, London, 1976.
5. Encyclopedia Americana.
6. Encyclopedia Britanica, printed in U.S.A., 1966.
7. Höfner, Maria, Altsüdarabisch Grammatik, Leipzig, 1943.
8. Kamus Na Turanci Da Hausa.

• الهوامش •

(١) اللغة العربية الجنوبية القديمة تقرأ من اليمين إلى اليسار كالفصحى . وقد وجدت بعض النقوش مكتوبة بالطريقة الثعبانية . وانظر تاريخ اللغات السامية لإسرائيل ولفنسون ١٧٩ وانظر .
Driver's Semitic Writing from Pictography to Alphabet, p. 144.

(٢) أنظر A Discriptive Grammar of Epigraphic South Arabian 3/103.

(٣) أنظر إن شئت
Diringer, The Alphabet, A Key to the History of Mankind, Vol. 1, p. 173.
وانظر أيضاً : Altsiidarabische Grammatik, p. 102.

(٤) أنظر أدب الكتاب ، للصولي ص ٢٨ . والعقد الفريد ٢١١/٤ . والوزراء والكتاب للجهشياري ١ .

(٥) صبح الأعشى ٨/٣ .

(٦) المصدر السابق .

(٧) مقدمة ابن خلدون ٤١٩ .

(٨) البقرة ٣١ .

(٩) صبح الأعشى ٧/٣ .

(١٠) أنظر تاريخ الأدب لحفني ناصف ٣٧/١ . وانظر إنتشار الخط العربي ٢٤ .

(١١) وهكذا في الأبجديات الافرنجية KLMN بالترتيب نفسه .

(١٢) تاريخ الأدب لحفني ناصف ٣٧/١ ، ٩١ .

(١٣) أنظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي .

(١٤) فتوح البلدان للبلاذري ٥٧٩/٣ . وأدب الكتاب للصولي ٣٠ ، وقصة الكتابة العربية ١١ .

(١٥) صبح الأعشى ٨/٣ .
(١٦) الخط العربي الإسلامي ٢٣ .
(١٧) صبح الأعشى ٩/٣ .
(١٨) الفهرست لابن النديم ٧ . وانظر تاريخ الأدب لحفني ناصف ٦١ .
(١٩) صبح الأعشى ١٠/٣ .
(٢٠) أنظر تاريخ الأدب لحفني ناصف ٥٧ .
(٢١) المقدمة ٤١٩ . وانظر تاريخ الأدب لحفني ناصف ٤٦ .
(٢٢) مصور الخط العربي ٢٩٥ . وانظر أيضاً تاريخ الأدب العربي لحفني ناصف ٥٤ .
(٢٣) The Alphabet, a Key to the History of Mankind, Vol. 1, p. 159 & Encyclopedia Americana, Vil. 1, p. 619.

وانظر أيضاً قصة الكتابة والطباعة من الصخرة المنقوشة إلى الصفحة المطبوعة ٧٧ .

(٢٤) أنظر :
Semitic writing from Pictograph to Alphabet, p. 186 & Encyclopedia Britanica, Vol. 1, p. 618.

(٢٥) أنظر دائرة المعارف البريطانية ٦٢٢/١ .
(٢٦) قصة الكتابة والطباعة ٧٧ .
(٢٨) تاريخ الأدب لحفني ناصف ٥٧ .
(٢٨) إرجع إلى Semitic Writing from Pictography to Alphabet, p. 186 & Encyclopedia Britanica, Vol. 1, p. 618-622 &
وانظر قصة الكتابة والطباعة ٧٧ .
(٢٩) أنظر إتجاهات حديثة في تعليم العربية للناطقين باللغات الأخرى ٢٤٧ .
(٣٠) أنظر دائرة المعارف التركية ٦١٥/٥ مادة حرف .
(٣١) قد لجأ الاستعمار الإنجليزي في نيجيريا إلى استبدال الحروف الإنجليزية بالحروف العربية ، لإبعاد المسلمين عما يربطهم بالإسلام وانظر . Kamus Na Turanci Da Hausa
(٣٢) مشكلة تعليم اللغة العربية لغير العرب ٣١ .
(٣٣) أنظر تاريخ الأدب لحفني ناصف ١٠٤ .